الجمهورية العراقية
وزارة الاعلام
مديرية الآثار العامة
بغـــداد

سومر

مجلة علمية تبحث في آثار الوطن العربي وتاريخه

الجزء الاول والثاني | ١٩٧٣ | المجلد التاسع والعشرون

General Organization Alexandria Library (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina

ثبت الجزء

الصفحة		
أ	تقديم	الدكتور عيسى سلمان
٣	نظرة في عملية تدجين النبات والحيوان	سعدي الرويشدي
١٣	التنقيب في قاليج أغا (أربيل) الموسم الرابع (١٩٧٠)	اسماعيل حجارة
٣٥	عشتار وتموز جذور المعتقدات الخاصة بهما في حضارة وادي الرافدين	الدكتور فاضل عبدالواحد علي
٧١	حركة تحررية في فترة عصور ما قبل التاريخ وعلاقتها بالفن السومري	الدكتور فوزي رشيد
٨٣	بحث في الامثال العراقية دراسة مقارنة لامثال المجتمع العراقي القديم والمعاصر	الدكتور عبدالهادي الفؤادي
١٠٧	دراسة تحليلية للتأثير البابلي في آثار تيماء	الدكتور صبحي انور رشيد
١٥١	هرقل ـ جندا (اله الحظ في الحضر)	الدكتور واثق الصالحي
١٥٧	معبودات الحضر	جورج حبيب
١٧١	تنقيبات البعثة الآثارية في منطقة مليحه ـ الشارقة ـ دولة الامارات العربية المتحدة	الدكتور طارق مظلوم
١٨٣	فخـار حفريات منطقة مليحه ـ الشارقة ـ دولالة الامارات العربية المتحدة	منير يوسف طه
١٩٧	سقايا بغداد	عطا الحديثي
٢٠٧	مميزات الزجاج العراقي في العصور الاسلامية	هناء عبدالخالق
٢٢١	ملابس الندامى في العصر العباسي	الدكتور صلاح العبيدي
٢٢٩	نقود الدولة الجلائرية المحفوظة في المتحف العراقي	مهاب البكري
٢٤٥	جامع الحيدرخانة عمارته وموضعه	أسامة النقشبندي
٢٥٧	معالجة صدأ النحاس والبرنز	علي النقشبندي
	التقارير والانباء والمراسلات	
٢٦٧	اقتصاد دولة سومر	ترجمة ـ سليم طه التكريتي
٢٨٩	من تاريخ الفترة الآشورية في القسم الجنوبي من العراق	ماجد عبدالله الشمس
٢٩٩	منجزات ومشاريع مديرية الآثار العامة	صادق الحسني

معبود الحضر

بقلم : جورج حبيب

تستند هذه الدراسة الى الكتابات المكتشفة في الحضر والتي يبلغ تعدادها ثلاثمائة كتابة كلهـــا باللغة الآرامية عدا ثلاث منها مخطوطة باللاتينية، وقد نشر الاستاذ فؤاد سفر الكتابات جميعـا مع ترجمتها ومع ملاحظات قيمة عنها في مجلة سومر عدا ست عشرة كتابة اطلعني عليها وهي لا تزال تحت الطبع ، كما اطلعني على مقال للآنسة داوني نشر عن راية الحضر(*) وأنواعها ، تفصيلا منه وتكرما .

ان الذي أعرفه عن اللغة الأرامية هو هذه اللغة المعاصرة المعروفة في الكنائس الشرقيـــة المسيحية والتي تسمى سريانية حينا وآرامية حينا آخر . وقد توخيت في دراستي هذه ان الاحظ ما هنالك من فروق بين القواعد التي كتبت بهـــا لغة الحضر والقواعد المعروفة للآرامية المعاصرة ، وقد تبين لي أن هنالك بعض الفروق أرجح انها أخطاء كتابية أكثر مما هي قواعد اصلية نظـــرا لورودها بصيغة تختلف في موقع ما عما تكون عليه في موقع آخر مماثل . واستطيع أن أورد لتلك الاخطاء أمثلة أرى ان ايرادها هنا ضروري لتفهم الكتابات المذكورة . ولست أدعي أن تصحيحاتي لها مضبوطة تماما ، ولكنني أعتقـــد ان ايرادها يسهل على الباحث تدقيق الكتابات المعنية كما يبرر في نفس الوقت ما اجريته من تصحيحات هنـا وهناك . فالذي اعتقده أن الخطاط الحضري كان على الغالب نحاتا يجهل القراءة ، ولكنـــه كان يستطيع نقش ما يعطى له من كتابة كما يستطيع نقش أي زخرف يكلّف بحفره على الحجر .

(*) Susan B. Downey, A Preliminary Corpus of the Standards of Hatra. *Sumer* vol. XXVI (1970) pp. 195-225.

وقد كان هذا هو شأن أغلب من نقش أنصاب القبور قبل نصف قرن من زماننا هذا ، يذكر ذلك ولابد المسنون من القراء • ولذلك فقد كان الخطاط الحضري معرضا للخطأ أكثر من أي كاتب يفهم ما يكتب • على ان الاخذ بطريقة تخطئة الخطاط كلما بدا لنا ذلك أمر يقود الى الزلل ولا ينتهي بنا الى قرار ، ولذلك سأحاول التأكيد على مواضع الخطأ التي أرى انها تستحق التأكيد كما سأشير الى غيرها اشارة خفيفة أو أكثر من خفيفة حسب ما تدعو اليه الحاجة •

ان بعض الاخطاء لا تؤدي الى تغير رئيس في المعنى ولكنني مع ذلك أرى تثبيتها كمثال للاخطاء التي وقع فيها الخطاطون • من ذلك ما يلي على سبيل المثال :

رقم الكتابة	صوابها
٣ بت	بيت
٥ ايقيم له	أقيم لـه
١٣ نصرا ورحمه لطب	نصره ورحمه لطب
٢٨ على حيا سنطروق	عل حيا دسنطروق
٣٠ بعلشمن	بعلشمين
كذلك اترعت	اترعتـا
كذلك ملى	مللـي
٣٤ بت	برت
٣٥ كوله	كلهـون
٤٩ بعشمن	بعلشمين
٥٢ الت	والت
٦٢ وحيا بنهن	وحيا دبنبهين
٧٤ كـول	كـل
٧٩ بيلده	بيلـده

رقم الكتابة	صوابها
٨٩ وبرمرين الت	وبرمرين والت
كذلك مرن مرتن	مرن ومرتن
١٧٣ وكول	كـل
كذلك الـه	الهـا
كذلك كولوه	كلهـون

غير أن هنالك اخطاء ، لو صح أنها اخطاء ، اذن لقلبت كثيرا من المعاني • ومن أمثلة ذلك ما يلي :

رقم الكتابة ـ ١٣ :

قدم زقيقا وكيد لرك •• صوابها :

قدم زقيقا دكير لطب

رقم الكتابة ـ ١٦ :

في هذه الكتابة ورد فعل نطبون الذي معناه (نعرّف) بصيغة جمع المتكلم للمضارع معطوفا على (دكرن) بمعنى (ذكرنا) الذي هو بصيغة جمع المتكلم للماضي ، ثم تكرر هذا في السطر الثاني ، ولذلك يصح أن نفترض أن القراءة الصحيحة هي « ندكرن ونطبون » أي « نذكر ونعرّف » حيث أن الكاتب أهمل كتابة حرف النون في أوائل السطرين • وهنالك خطأ آخر محتمل في نفس الكتابة في كلمة « ربوتا »، فقد كتبت الواو خطأ بدل الياء وبذلك وجب أن تصحح الكلمة الى (ربَّيتا) التي تعني السادن ، والذي يؤيد ذلك صيغة السطر الذي يليه والتي تشابه صيغة السطر الاول حيث ينعت الشخص المعنّى بأنه « معمار » مما يؤيد ان الشخص المعني في السطر الاول ينعت بصفة وظيفته ايضا أي بصفة السادن •

فالكاتب اذن اخطأ باهمال كتابة النـــون ثم بكتابة الواو بدلا من الياء • فاذا اجرينا هـذا من التصحيح تحوّلت العبارة الغامضة الى معنى مستقيم كما يلي :

نذكر وتقدم عقوبا السادن ابن عبد شلما امام بعلشمين الاله •

رقم الكتابة ــ ١٧ :

يجب اضافة النون في أول فعل « دكرن » كما فعلنا في الكتابة رقم ١٦ •

رقم الكتابـــة ــ ٣١ :

يبدو لي أن الكاتب حذف حـــرف الالف من بين كلمتين هما مرت وأبو وبذلـك صارت الكلمتان وكأنهما كلمة واحدة هي مرتبو ، فالاصح من ذلك أن تكون «مرت أبو » أي السيدة أبو ، وهذا اسم نسائي معروف في الحضر ، كما يجوز ايضا أن تكون الكلمة الاولى من السطر الثالث هي « ربّيتا » وبذلك يصبح معنى الكتابة كما يلي :

« منحوتة » السيدة أبو لحياتها ولسيدها السادن ولكل من احترمها » • ان السيدة « أبو » هذه قد ذكرت مرة أخرى في الكتابـــة رقم (٣٤) ووصفت بالكاهنة ، وان هـذه الصفة لتزيد من احتمال صحة ذاك التأويل •

رقم الكتابة ــ ١٤٣ :

ورد اسم « شوزنبـــل » ، وهو تركيب ينتهي بكلمة « بل » المعروفة التي تعني « الاله » • انني اعتقد ان هذا الاسم مركب من كلمتين هما « شوزبن » و « بل » • ان شوزبن تعني «خلّصنا» أو « حفظنا » وبذلك يكون معنـى الاسم العلـم هذا هو « حفظنا الاله » ، اما الباء التي حذفت من « شوزبن » فدليـــل على ان الحضـــريين كانو يعرفون تركيب الحروف الكتابيـــة التـــي تجمعها الكلمة « بجدكفت » والتـــي تحوّلت بموجبها الباء القاسية الى واو رخوة ، وبذلـك يكتب الاسم « شوزبن » ويقرأ (شَوزوَنْ) ، فاذا صح ما ذهبت اليه يصبح الخطأ خطأ الكاتب لا خطأ الخطاط حيث كتب الاسم كما يســـمع لا كما يجب أن يكتب •

بعد تلك الملاحظات جميعا تأتي قضيـة مزج حروف الكلمات جميعا دونما فاصل بين كلمـــة واخرى ، فذلك ما كان يفعله الخطاط الحضري ، بل ربما خط نصف الكلمة في سطر ليبدأ تتمتها في السطر الذي يليه مما يؤكد جهله بما يخط ، أضف الى ذلك مشكلة تشابه الكثير من الحروف • ان الدال والراء تمثلهما صورة واحدة هي صورة الدال والراء في الخط الاسطرنجيلي عينها سوى ان في هـذا الاخير تمييزا بتنقيط الراء من فوق وتنقيط الدال من أسفل بينما يخلو الخط الحضري من النقط • وهنالك تشابه خطي بين مجموعات من صور الحروف ، منها مجموعة الباء والجيم والعين واللام وربما دخلت معهم الطاء من جهة ، ومجموعة الواو والزاي والياء والنون من جهـة أخرى ، ومجموعة اللام والنون والكاف من جهة ثالثة ، ثم مجموعة الهاء والحاء من جهة اخيرة ، فان الحضري لم يكن يتقيد بخط معين يتعلمـه كابرا عن كابر ، وبذلك قد تكون صورة النون عند خطاط ما في جيل ما هي صورة اللام عنـد آخر في جيل آخر ، ولقد أحصيت خمس صور

للياء كما أحصيت أربعا للشين على سبيل المثال لا الحصر •

ان أي خلط بسبب تشابه مثل هذه الحروف يجعل الجملة تعطي معنى مخالفـــا أو تؤدي الى معنى غير مستقيم أو غير مفهوم ، وللتمثيل على ذلك اذكر المواضع التالية التي جرى فيهـا مثل هذا الخلط •

رقم الكتابـــة ــ ٤ :

« عل حيا نشريهب بده » بمعنى « لحيـاة نشريهب وبهـذا ••• » صحيحهـا « عل حيـا نشريهب بره » بمعنى « لحياة نشريهب ابنه » •

رقم الكتابة ــ ٢٨ :

في هذه الكتابة من الحجرة الســفلى قريء ضمير الغائبة المتصل بنهاية السطر الاخير وكأنـه ضمير الغائب المذكر وبذلك خرج المعنى غريبا • والقراءة الصحيحة على ما ارجح تعطي هذا المعنى :

« سمي والدة عبد سميا فشجيريا ابن سنطروق الملك لحياة سنطروق الملك والد بنيها » •

فعبارة « والد بنيها » هنا تؤكد لنا ان سمي أم ولي العهد هي زوجة الملك • وبذلك يكون للعبـارة معنى واضح مقبول ، فهذا تعبير تستعملـه المرأة العراقية حتى هذا اليوم بقولها عن زوجها « أبو ولدي » •

رقم الكتابة ــ ٣٠ :

هـذه الكتابة تروي قصـة فاجعـة عائليـة سببها الافك وحديث النساء ونميمتهن • فالقسـم الاخير من الكتابة يجب أن يقرأ هكذا :

« وعل نشا دي مللي وتمرن هديا » •

وبذلك يستقيم معنى الكتابة بكاملها وتصبح ترجمتها كما يلى :

« تمثال أبو بنت جبلو أقامه لها أشـــابن شمشطلب روجها • ماتت وهي في الثامنة عشرة استغيث بسيدنا وسيدتنا وابن سـيدينا وبعلشمين واترعتا على من قتلها وشمت بها وعلى النســاء اللواتي تكلمن عنها ، ويقلن فيها الكلام البذيء ،

رقم الكتابـة ــ ٧٩ :

هذه الكتابة تروي قصة نزاع عائلي ملكـي حاول فيه أحد افراد العائلة المالكة اغتصاب العرش من ولي العهد الشرعي فانتصر لهذا الاخير اخواله ثم أقاموا له في عيد ميلاده تمثالا نصبوه له مـع تماثيل الآلهة (أو هكذا يبدو) ودونوا ذلك في الكتابة التالية التي تصرفت ببعض كلماتها وترجمتها كما يلي : « انه لظافر من كان تمثاله مع الآلهة • (انه) ابن عبد سميا الملك الذي أقام له (تمثاله) في مولده السعيد من سروا به • (انهم) انسباؤه يهبرمرين والكود ابنا شمشبرك بن الكـــود بن شمشبرك بن الكود واتباعهم ويهبرمرين والكود وبنوهم ونفوسهم خارج الحضر وداخلها • بسيدنا نشرا وبملكوته وبأصنام العرب وبسميا الذي في المعبد وباصنام سنطروق الملك وذريته وبنيه جميعا والى الابد • من أجل انهم دبروا واغنوا ابناء خالهم (أو عمهم) رغما عن معنا بن سنطروق الملك • فليدم ذكرهم الى الابد في الحضر وعربها » •

وانك لترى في غير هذه المواضع كثـيرا من الكتابات التي لا يستقيم معناها والتي يستبعد أن تكون قد سببتها ركاكة اللغة الآرامية ذاتها ، بل يرجح أن يكون سبب ارتباك صيغتها غلطة خطية

أو انشائية هنا وهناك •

وفيما عـدا الاخطاء يبـدو لي أن الآرامية التي كانت مستعملة في الحضر شبيهة جدا بالآرامية التي نعرفها اليوم سواء في اللفظ أو القواعد •

عند دراستنا لمعبودات الحضر يبدو لنا واضحا ان الآلهة لدى الحضري كانت على مرتبتين ، منها مرتبة تُخصّ بالدعاء والعبادة وتبنى لها المعابـد والمباخر ، ومنها ما يُتبرك باسمه فيدخـل في تركيب اسماء الاعلام مع شيء يسير من العبـادة فحسب •

ويرد ذكر الآلهة من المرتبة الاولى اما بشكل مفرد أو بشكل مجاميع تسلسل حسب أهمة الآلهة المذكورة ني السلسلة الواحدة فيرد أكبر الآلهة شأنا في أول السلسلة ثم تنتهي السلسلة بأضعف الآلهة شأنا • غير ان اكثرها ذكرا وأهمية هـي مجموعة الثلاثي الحضري المكـون من السـيد والسيدة وابنهما أي « مرن ومرتن وبرمرين » • وقد ورد ذكر « مرن » تسعا وخمسين مرة وورد ذكر برمرين أربعين مرة وورد ذكـــر مرتن عشرين مرة اما باللقب المجرد أو بتركيبه مـع كلمات أخرى في الاسماء الاعلام المركبة من قبل « مرنيهب » أو « يهبرمرين » أو « مكمرتن » ، بينما وردت القاب الثلاثي الالهي مجردة ستعشرة مرة ، ولما كانت هذه الكلمات الثلاث ألقابا لا أسماء حقيقيـة وجب أن تكـون الاسماء الحقيقية لتلك الآلهة واردة في مكان آخر دون أن تكون معطوفة على هذه الالقاب •

ومن دراسة مجموعات اسماء الآلهة التي ورد ذكرها معا نستطيع أن نوردها هنا حسب تسلسل أهميتها كما ورد هذا التسلسل في الكتـابات الحضرية بالشكل التالي :

مرن – مرتن – برمرين – سميا – الت – سميتا – شحرد – بعلشمين – أترعتا •

غير ان هنالك اسماء آلهة أخرى يرد ذكرها كثيرا وتقام لها العبادة كما تقام لها المعابد ولا يرد ذكرها في مجاميع الآلهة هي شمش ونشـــرا ونرجول وبذلك نستطيع أن نخمن ان اثنين من بين الثلاثة المذكورين هما من ضمـن الثـلاثي الالهي • ولما كان لقب نرجول معروفا كما ورد في كتابات الحضر بشكل « نرجول كلبا » فقد بقي لنا شمش ونشرا فقط ممن لم يجيئـا في المجاميع الآلهية معطوفين على مرن وبرمرين وبذلك نخمن ان احدهما هو مرن وان الآخر هو برمرين •

اما الآلهة الثانوية التي وردت اسماؤها في كتابات الحضر فتحصر فيما يأتي حسب كثرة ذكرها :

ننى – جد – نبو – آشور – مهرا – زقيقا •

فقد تكرر ذكر الآلهة ننى عشر مرات بينما ذكر زقيقا مرتين فقط •

ويجدر بي هنا ان اذكر ان سكان مدينـة الحضر ، حسب اعتقادي كانوا من الآراميين الا ان بينهم فئة كبيرة من العرب •

والحضر كانت تقع في منطقة تسكنها القبائل العربية ولكن اسماء الاشخاص في مدينة الحضر الذين ورد ذكـرهم في الكتـابات تدل عـلى آراميتهم ففي رأيي أن الاعـلام تعطي دلالـة واضحة على جنسية أصحابها • وقد يقال ان لغة الكتابة قد تكون آرامية بين سكان عرب ولكـن

اسماء الاعلام في مثل هذه الحالات لا تترجم وبذلك تبقى دليلا على جنسية حامليها .

واتني لاورد هنا امثلة على تركيب بعض الاسماء الاعلام ، لا للتدليل على رأيي فحسب ، بل لطرافة الاسماء ذاتها .

اِلْكُوَدْ : أصلها « ال كبْدَ » أي « غضب الاله » . ركّخت الباء واوا .

اشربل : معناها « وثق الاله » .

جزيري : هي صورة من كلمة «جزبرا» أي « أمين الخزانة » .

كفعتي : أصلها « كَفْ عل نتّي » أي « اسجد لنتّي » .

لوطب : أصلها « ايلوطب » أي « عَلِمَ الاله » .

مكمرتن : معناها « تابع سيدتنا » .

مرهون : معناها « سيدهم » .

مركادي : تعني « سيدك قادك » .

نبوبنا : أي « نبوبنا » .

نبودين : أي « نبو قرب » .

شوزنبل : اصلها « شوزبن بل » بمعنى « حفظنا الاله » كما شرحت ذلك أعلاه .

شمشعدري : تعني « شمش عوني » .

وما أوردت هذه الاسماء ، كما قلت ، لاستدل بها على آرامية اصحابها فحسب بل لطرافة معانيها وتراكيبها ، فالواقع ان الاسماء الحضرية المركبة التي تبتديء أو تنتهي بكلمات آرامية كثيرة في الحضر . أما الاسماء العربية فكثيرة أيضا ، وقد وردت الاشارة اليها في سومر .

بعد هذا انتقل مرة أخرى الى البحث عن الاسماء الحقيقية للثلاثي الحضري الذي يلقب بمرن ومرتن وبرمرين . ولما كنت قد خمّنت أن شمش ونشرا اسمان مرشحان لاثنين من الثلاثي فانني أناقش كلا منهما على حدة :

شمش :

١ ـ يرد ذكره ثلاثا وخمسين مرة .

٢ ـ في الكتابة رقم (٧٤) يجيء مرن معطوفا على شمش بشكل « قدم مرن ... وشمش » مما يدل على ان شمش ليس مرن ، ومع ذلك فان وجود قسم كبير مشوه بين كلمتي « مرن » و « شمش » يجعل اعتمادنا على هذه الكتابة ضعيفا .

٣ ـ الكتابة رقم (١٠٧) تنص على ما يلي : « هيكلا ربّادي بنا برمرين لشمش أبوهي على حيو وعل حيو دمن .. الخ » مما يدل على أن برمرين هو ابن شمش فليس هو بشمش .

٤ ـ في الكتابة رقم (٢٨٠) تجيء عبارة « سميا دي بني أقلتا دي برمرين بر شمش الها » ومعناها « سميا الذي لبني أقلتا الذي لبرمرين بن شمش الاله » وهذا يؤكد ما جاء في الكتابة رقم (١٠٧) من أن برمرين هو ابن شمش الاله فهو ليس بشمش .

نشرا :

١ ـ يرد ذكره تسعا وثلاثين مرة .

٢ ـ في الكتابة رقم (٣) ترد عبارة « نيشا (وقد تقرأ نيشي) دي مرن ودي سميا دي بيت عقيا » بمعنى « علامتا سيدنا (مرن) وسميا الذي ليت عقيا » ، وبجانب ذلك صورة نسر (نشرا)

وصورة راية للحضر ، مما يشير الى ان المقصود بعلامة سيدنا هو النسر وبعلامة سميا صورة راية الحضر •

٣ ـ في الكتابة رقم (٧٩) يرد دعاء بشكل « بمرن نشرا وبملكوته » وهذا يعني أن مرن هو نشرا •

٤ ـ في الكتابة رقم (٨٨) تجيء عبارة « قدم مرن نشرا » وهذا ايضا يدل على أن مرن هو نشرا •

٥ ـ في الكتابة رقم (١٥٥) تتكرر عبارة « قدم مرن نشرا » بمعنى « امام سيدنا نشرا » مما يؤكد نفس الاستنتاج •

٦ ـ في الكتابة رقم (٢٣٢) تجيء عبارة « مرن نشرا شحقتي من بيتك » وهذه تؤكد مرة أخرى أن نشرا هو مرن •

لقد وردت القاب لآلهة بشكل « الها » أي الاله أو « الها ربا » أي الاله العظيم لشمشا ولبرمرين ولبعلشمين ولكن أيا منها لم يطلق عليه لقب « مرن » عدا نشرا •

واذ نستطيع حتى هنا ان نرجح أننا عرفنا شخصية مرن على انها نشرا تبقى لنا مشكلة تعيين شخصيتي برمرين ومرتن ، وسوف نستعين على ذلك بدراسة الراية الحضرية •

ان الرسوم المنحوتة في راية الحضر على مختلف تفاصيلها التي وردت فيها تبتديء في أعلاها برسم النسر الواقف فوق شكل مستدير كالكرة موضوع على وكيزة تحتها هلال ، وتحت الهلال وجه فتيّ يشع منه النور منحوت في قرص يرمز الى قرص الشمس •

الى هنا تتفق جميع الرايات الحضرية المكتشفة في تفاصيلها ، وبعد ذلك يحدث الاختلاف • فلو فرضنا النسر والكرةرمزا لمرن وافترضنا الهلال رمزا لمرتن وقرص الشمس رمزا لبرمرين فان الرموز الاخرى التي تلي ذلك لابد أن ترمز الى بقية التسلسل الالهي أو الى جزء منه كما يرد في الكتابات الحضرية • ولكن افتراض قرص الشمس (أي شمش) رمزا لبرمرين يخالف ما استنتجناه سابقا من ان برمرين ليس شمش بل ابن شمش ولذلك وجب أن يكون هنالك خطأ في مكان ما •

لقد ذهبت اولا في تفسير ما جاء في الكتابة رقم (١٠٧) الى ان ذكر برمرين كأبن لشمش ما هو سوى صدفة جاءت من أن الحضريين كانوا يسمون ابناءهم باسماء الالهة وبذلك يكون برمرين اسما لشخص هو ابن لشخص آخر اسمه شمش ، خاصة وان الكتابة تنتهي بعبارة « لحياته ولحياة من هو عزيز عليه » وهو ما لا يمكن أن يقال عن اله • ولكن الاستاذ فؤاد سفر نبهني الى أن عادة التسمية باسماء الالهة لم تجر لدى الشعوب الاخرى ليمكن افتراضها لدى الحضريين • وفوق ذلك كله جاءت الكتابة رقم (٢٨٠) فزادت في حيرتي حيث ورد فيها : " سميا الذي لبني اقلتا التابعين لبرمرين ابن شمش الاله » وبذلك اتضح أن شمش ابا برمرين هو اله وليس انسانا •

ولعلاج هذه المشكلة عدت استعرض الاسماء الاعلام التي وردت فيها اسماء الالهة مركبة فوجدت من بينها الطراز التالي من التركيب ملفتا للنظر :

برزقيقا (كتابة رقم ٢٤) الذى يعني ابن زقيقا (الاله الذي ورد ذكره في الكتابة رقم ١٣) •

برکلبا (كتابة رقم ١٤٥) أي ابن الكلب والكلب لقب نرجول الذي يذكر لاحقاً له بشكل " نرجول كلبا "

برمرين (كتابة رقم ٢٧١) فقد جاء نصها هكذا :

" برمرين اتقب برمرين " •

وجاء في ترجمتها " ابن سيدنا (ابن الملك) تعقب الاله برمرين " • وهذا معنى غير مستقيم بسبب أن " برمرين " تعني " ابن اسيادنا " لا ابن سيدنا ، وأن وضع اسم الملك فيه تأويل بعيد • ولكننا حين نعتبر اسم برمرين الاول اسما لشخص يصبح المعنى واضحا : يا [ايها الانسان] برمرين اتبع [الاله] برمرين •

برنبو (كتابة رقم ٢١٢) تعني ابن نبـــو (الاله) •

برنني (تكرر مثل هذا الاسم في ستة كتابات) معناه ابن ننى (الآلهة) •

برنشرا (الكتابتان ١٤٤ و ٢٨٣) معناه ابن نشرا (الاله) •

فهل يجوز لنا أن نستنتـــج من ذلـك أن الحضريين كانوا يسمون ابناءهم كأبناء آلهة على شكل (برنبو) و (برنشرا) كما ورد أم أن لهذه الأسماء تفسيرا آخر •

اننا لنعلم أن في كثير من العبادات القديمـــة كان بعض الآباء ينذر ابنه لهيكل الاله فيصبـــح انولد خادما لهيكل الاله طوال عمره وينسب الى ذلك الهيكل ، فهل كان ذلك التقليد يجري في الحضر أيضا ؟ فان صح أنه كان يجري كذلك فلن يكون غريبا أن يلقب المنذور كأبن للاله الذي نذر لخدمته •

ان تفسير تركيب هذه الاسماء على أنها اسماء شخصية لا يحل لغز الكتابتين (١٠٧) و (٢٨٠) أما تفسيرها كألقاب لخدم الهيكل الذين نذروا له فيبدو أنه حل مقبول ، وعليه نســـتطيع أن نقول ان الكتابتين رقم (١٠٧) و (٢٨٠) تعنيان أن خادم الاله واللقب (برمرين) بنى لابيه (أي الهـــه) شمش هيكلا ، وهـــذا التفسير يزيل في نفس الوقت التناقض القائم بين تسلسل الالهـــة وتسلسل رموز راية الحضر فيستقيم اعتبار برمرين لقبا لشمش • ومع كل ذلك يظل هـــذا التأويل عرضة للنقد وعدم الثبات حتى تظهر دلائل أخرى تثبته أو تنفيه •

أما عن شخصية مرتن التي من المحتمل أن يرمز لها القمر فاننا نتوقع أن نجد اسمها الحقيقي بين اسماء الهات الحضر اللواتي جاء ذكرهن في الكتابات وهن خمس لاغيرهن: الت وأترعتا وشحيرو وسميتا وننني • ولما كانت الالهات الاربع الاوليات قد ذكرن معطوفات على مرتن فلا يمكن أن تكون أي منهن هي مرتن ، فالمتوقع اذن أن تكون ننني هي مرتن • والحقيقة ان هذا الاسم كان يجب أن يلفت نظرنا منذ البداية حيث ان تشابه اللفظ بين ننني والاله القمـــر ننًا لدى البابليين واضـــح جدا • والواضح أيضا ان الحضريين أنثوا القمر ولم يذكروه تأثرا منهم بالحضارة الرومانيـــة وبالعبادات الرومانية التي تتضح في اعتبارهـــم النسر كبير الالهة والذي يمثل لدى الرومان قوة

جوبيتر كبير آلهتهم ، وجريا على النهج الروماني صار اسم ننّي المؤنث تحويرا لاسم القمر القديم تنّا وتعبيرا عن عبادة القمر (مرتن) في الحضر وان اسم ننّي لا يزال مستعملا كأسم علم نسائي في قرى الموصل المسيحية حتى ايامنا هذه • ان تحقيق اسم مرتن بانه ننّي (القمر) يؤيده توازي سلسلة أسماء الالهة من جهة ورموز الآلهة على الراية من جهة أخرى وبالتالي يؤيد أن برمرين هو شمش •

ان تأنيث القمر لدى شعوب الشرق الاوسط لم ينحصر في الحضر فحسب بل يبدو انه شاع في ديانات أخـــرى كان لها مســـاس ببعض الديانات الآرية كما هو الحال عند اليزيدية الذين يلقبون القمر في زماننا هذا بلقب (خاتونه فخره) أحيانا ، ويلقب الشيخ فخر أحيانا أخرى ، فقد روى لي السيد عبدالمجيد رضاعـة ، وهو ممن عاشر اليزيدية زمنا طويلا ، انه شاهد رفيقـــه اليزيدي ليلا في نور القمر وهـو يمسح راحتيه بوجهه ، وحين سأله عما يفعل ، أشار اليزيدي بيده نحو القمر وقال « خاتونه فخره » • وفي ظني أن تسمية القمر بالشيخ فخر تسمية متأخرة ومتأثرة بالمحيط المعاصر وبتعاليم الشيخ عدي •

أما عن تأثر الحضريين بالعبادات الرومانيـة فيتضح أكثر في النقوش والمنحوتات الحضريـة الاخرى كما يتضح أيضا من عبادة شخصيات مثل مترا الذي نشر عبادته الجنود الرومان في اطراف الامبراطورية والذي ورد ذكره في الكتـــابات الآرامية أكثر من مرة باسم مهرا والذي كان له معبد خاص فيه منحوتات بارزة لعجول ، كما جاء ذكره في كتابة لاتينية على قاعدة تمثال بصيغـــة (الشمس التي لا تقهر) والتي هي احدى صفات مترا خطها في عصر متأخر بعض القادة الرومان في الحضر •

ومما أثار انتباهي من بين الرموز المكتشفة في الحضر رسم لطائر يقف على غصن وصفتـه الكلمة الآرامية التي بجانبه بلفظة (عبسا) ، وعبسا تعني الارقط فذلك يشير الى الطوق الذي حول عنقه (من الاسماء العلم الحضرية « عجّا عبسا » ولعل أصلها « عقّا عبسا » أي ذو العنق الارقط) ولكن المهم الذي أود الاشارة اليه انه يجوز أن يكون هذا الطائر رمزا للدرجـة البدائيـــة من درجات المثرائية التي رمزها طائر ايضا شبيـــه بالغراب أو الزاغ مما يؤيد أن العبادات الرومانية ومنها المثرائية قد دخلت الى حد ما بين عبـادات الحضر ولو بقدر يسير •

ولو صح مثل هذا التفسير لشخصية الطائر لامكن ربطه مع عبادة طاووس ملك بين اليزيدية المعاصرين والذي يرمز لـه بتمثال طائر • فلو أننا رجعنا الى رموز طاووس ملك التي هي الطائر والسنجق والكأس لوجدناها تشابه أشد المشابهة رموز الطائر المثرائي التي هي الطائر والصولجان والكأس كما وجدت تحت كنيسة سانتا بريسكا في روما [أنظر : Mithras, The Secret God; M.J. Vermaseren] (طبعة لندن ١٩٦٣ ، صفحة ١٤١ وما بعدها) ولما كانت درجة الطائر في المثرائية هي الدرجة الاولى أو البدائية من بين الدرجات السبع التي تمثل الكواكب السبعة اذن تكون هذه الدرجـة

ممثلة للكوكب عطارد الذي هو الاله نبو البابلي • ان الرمز اليزيدي هذا لم يؤخذ عن المثرائية بل توارثه سكان هذه المنطقة عن العبادات البابليـــة القديمة بدليل ما يسبغوه من الصفات على طاووس ملك التي منها انه يحفظ الواح القدر بعـد أن يدونها كل عام طبقا لمقررات مجمع الآلهة السنوي تماما كما كان يفعل مردوخ ونبو ، أضف الى ذلك انهم يقدسون له يوم الاربعاء الذي هو يوم عطارده أما المهاجرون السريان فقد نقلوا عبادته الى روما من ضمن ما نقلوا من العبادات المثرائية الاخرى ولعلهم هم الذين ادخلوا رمزه بشكل الطائر عيسا في الحضر دون أن يكون للمثرائية علاقة بذلك •

انه ليس من موضوع هذا البحث الكـــلام عن اليزيدية أو المثرائية ، ولكنني وددت هنـــا أن أبين أن التأثير البابلي وعباداته هي الاصل في تسلسل عبادات هذه المنطقة من الشرق سواء كان ذلك في الحضر أو لدى اليزيدية ، هذا ان لـم أذهب الى أبعد من ذلك ، وان اسم نبو فـــي عبادات الحضر قد يكون هو الاسم الحقيقي لرمز الطائر عيسا كما قد يكون الغصن الـــذي يقف عليه هو الصولجان المذكـــور ، فمن خصائص معبودات الحضر أن يكون لها ألقاب عدا اسمائها •

من أهم المشاكل التي تجابه البـــاحث في معبودات الحضر مشكلة تحقيق شخصيـــة سميا التي مال البحث اخيرا الى اعتبارها تنطبـــق على الراية الحضرية وان لم يكن هذا القرار مقنعا تماما •

لقد ورد ذكر سميا مجردا عشر مرات فقط ولكن اسمه مركبا في الاسماء الاعلام ورد ســـتا وعشرين مرة ، منها سبع عشرة مرة ورد فيهـــا بشكل (عبد سميا) •

لقد ورد ذكر سميا في الكتابات كما يلي :

في الكتابة رقم ٣ :

« نيشا (وقد تقرأ نيشي) دي مرن ودي سميا دي بيت عقيا » وهي تعني كمـا شرحت ذلك قبلا ان النسر والراية اللذين بجانب الكتابة رمزان لمرن وسميا الذي لبيت عقيا • فسميـــا هنا يضاف الى بيت عقيا اما لانه يخص بيت عقيا أو لانه يمتاز بصفات معينة لها علاقة ببيت عقيا •

في الكتابة رقم ٧٩ :

« بمرن نشرا وبملكوتـــه ••• وبســـميا دمشكنا » • وهي تعني « بسيدنا نشرا وبملكوته ••• وبسميا الذي للمعبد » • فسميا هنا يضاف الى المعبد •

وفي الكتابة رقم ٢٠٩ :

« سميا دي برمرين دشارب براشي » وهي تعني سميا الذي لبرمرين الـذي لنساء صاحب « براشي » وهي كلمة لا أفهم معنـــاها الا أن تكون محرفة عن « بورشا » التي تعني الطعـــام فيكون معنى « صاحب براشـــي » هو « صاحب المائدة » •

وفي الكتابة رقم ٢٨٠ :

« سميا دي بني اقلتا دي برمرين بر شمش الها » وذلك يعني « سميا الذي لبني أقلتا التابعين لبرمرين بن شمش الاله » •

فها هنا أربع حالات ينسب فيها سميا الى جهات

مختلفة • ففي الحالة الاولى نجد أنه ينسب الى بيت ما هو بيت عقيبا ، وقد جاء في سومر أن بيت عقيبا اسرة لها ماض مجيد في الدفاع عن الحضر ، وقد وُجدت لها أجراس من نحاس منقوش عليها بيت عقيبا كانت تعلق على رايات المدينة •

أما في ظني فان كلمة « بيت » لا تشير الى عائلة بل تشير الى دار أو معبد خاص بحرس الملك أو جنده الخاص الذين يعرفون بالاتباع (عقيبا) وتلفظ (عقيبي) دلالة على الجمع • فقد جاء في الكتابة رقم (٢٠٠) « نحطب بن سميا الذي وهبه مرن الى قيا عقيبا » أي الى « قيا التابع » ، ولو كان القصد من الكلمة هو العشيرة لكانت صيغة ذلك وبشكل « قيادي عقيبا » أو « قيا من بني عقيبا » كما ورد في كتابات مماثلة وكما تقتضيه اللغة الصحيحة • وعلى ذلك يكون معنى « بيت عقيبا » الوارد في الكتابة رقم (٣) هو بيت الاتباع ، أي بيت الفرقة الخاصة أو ما يماثل ذلك • وفي الحالات الثلاث الاخرى نجد سميا منسوبا الى معبد أو الى قبيلة تابعة الى معبد ما « بني أقلتا دي برمرين بر شمش الها » •

فالذي يتضح من ذلك كله ان سميا قد يذكر منسوبا الى أحد المعابد وقد يذكر قائما بذاته • ففي الحالة الاولى يكون المعنّي بذلك هو الراية الخاصة التي يحملها اتباع المعبد أو القبيلة المعنية في الحرب • فقد كان لكل منظمة راية خاصة بها تحملها في الحرب ، أما ذكر سميا مطلقا فيقصد به شخصية سميا الالهية غير المقيدة بجهة ما كما في الامثلة التالية •

لقد ذكر سميا في الكتابة رقم (٥٦) بشكل « صلماد عبد سميا رب سميا » بمعنى « تمثال عبد سميا صاحب سميا » الذي قد يعني سادن معبد سميا • وفي الكتابة رقم (٢٠١) ذكر بشكل « سميا محينا » وذلك يعني « سميا حامل المجن » أي أن هذه العبارة هي تعريف بسميا أنه حامل المجن ، وقد نقشت هذه الكتابة بين راية حضرية وشخص قائم وكأنما العبارة تعريف بهذا الشخص المدعو سميا بانه حامل الراية ، ولعلها تعريف بالراية نفسها • وفي الكتابة رقم (٢٣٥) يرد ذكر سميا في سلسلة من أسماء الآلهة بعد برمرين مباشرة •

فاذا رجعنا الى تحليل كلمة سميا نفسها نجد أنها تعطي معنى « الاعمى » أي أن سميا هو « الاله الاعمى » وقد يرد في الخاطر أن الكلمة ربما كانت محرفة عن « شميا » التي تعني السماء •

أما عن سميا باعتباره « الاله الاعمى » فقد جاء ذكره في فهرست ابن النديم في حديث عن صابئة حران المعروفين بالحرنانية (الفهرست : طبعة فلوكل) ففي الصفحة ٣٢١ : « يوم الثلاثاء للمريخ واسمه آريس » وفي الصفحة ٣٢٢ : « ويذبحون ثلاثة زبرخ ، والزبرخ فحل البقر ، واحدا لقرنس الاله وهو زحل وواحدا لاريس وهو المريخ وهو الاله الاعمى ، وواحدا للقمر وهو سين الاله » • وفي الصفحة ٣٢٤ : « وفي عشرين منه يقسم الرئيس خبز شعير على جماعتهم لاريس الاله وهو المريخ » وفي صفحة ٣٢٥ « من آلهة الحرنانيين رب الآلهة ، الرب الاعمى المريخ روحا شريرا » •

فلو ذهبنا الى صحة ما يرويه ابن النديم لكان الاله الاعمى هو المريخ أو هو اريس الاغريقي أو مارس الروماني اله الحرب • وليس بعيدا عن الحضر أن تأخذ بعبادة اله الحرب فان كيانها ذاته كان يتوقف على قوتها ومناعتها الحربية • أما اتخاذ لقب الاعمى للاله المريخ فغريب جدا ، وربما كان لما تصفه به الاساطير الرومانية من « شجاعة عمياء » و « غضب أعمى » أساس في هذه التسمية ، فاذا كانت حرّان السريانية بقيت تدعوه بهذا اللقب حتى القرن العاشر الميلادي فلا عجب ان كان هذا لقبه لدى السريان القدامى سواء في حرّان أو في الحضر •

ان اتخاذ الراية شعاراً للحرب واعتبار سميا الها للحرب ربط بين الاثنين بحيث اصبحت الراية وسميا كأنهما شيء واحد لا واحدا مطلقا • ومثل هذه الامور تحدث في الديانات التي تستعمل الرموز لآلهتها ، مثال ذلك ما يحدث في الدين اليزيدي من تعبّد للطاووس •

ان اليزيدي يعلم ان « طاووس ملك » شخصية الهية تتحكم في الكون وفي مصائر البشر ، فهو يجل الطاووس ويدعوه ليأخذ بناصره ويؤمن بوجوده كذات فعالة في تقرير مصائر الكون ومصائر البشر ولكنه في نفس الوقت يستقبل تمثال الطاووس في المناسبات والاعياد وفي الزيارات التي يجول فيها الطاووس على الاقاليم والقرى وكأنما تمثال الطاووس هو الطاووس نفسه • وفوق ذلك فان اليزيدي يتحدث عن طاووس سنجار وطاووس حلب وطاووس الشيخان وغير ذلك من الطواويس وهو يؤمن أن أي واحد من هذه الطواويس هو طاووس ملك السماوي الذي بيده مصائر الكون والبشر ، وهو حين يفعل هذا يرفع يديه الى السماء بالدعاء نحو طاووس ملك الذي في السماء •

وفي اليزيدية الشيء الكثير من العبادات التي كانت منتشرة في شمال ما بين النهرين من عصر الحضر وما قبل ذلك • وهذا ما حدث في الحضر، فان الحضري حين يتكلم عن سميا الذي لبرمرين أو الذي لغيره انما يتكلم عن الراية التي هي رمز سميا ، أما اذا تحدث عن شخصية سميا مطلقا فهو يتحدث عن الشخصية الالهية المتميزة ، انه سميا حامل المجن الذي يدفع عن المدينة اعداءها ومهاجميها • ومما لست أشك فيه أن سميا ليس اسما للاله بل لقبا له كبقية القاب الالهة اطلقه عليها الحضري احتراما لها دون تسميتها باسمها المباشر مجردا ، فهنالك مرن نشرا ومرتن ننني وبرمرين شمش ، وهنالك نرجول كلبا وربما نبو عبسا • أما سميا فلا دليل حتى الآن يشير الى حقيقة اسمه لدى الحضريين وان كان يسمى لدى الاغريق اريس ولدى الرومان مارس • فلو اننا استعرضنا اسماء الآلهة الحضرية التي تبقت لنا بعد تحقيق شخصيات بعضها لوجدناها تنحصر في : زقيفا وبعلشمين ومهرا وجد وآشور ، فاذا استبعدنا من بينها مهرا وجد باعتبار الاول ذا صفات شمسية واعتبار الثاني الها للحظ يتبقى لنا آشور الاله الحربي ثم بعلشمين وزقيفا اللذين لا أعرف عن صفاتهما في الحضر شيئا فأترك البحث فيهما الى غيري ، ولعل أيا من الآلهة المذكورة ليس سميا •

لقـــد ورد رمز ســـميا في ثمانـــي رايات (من بين ٢٤ راية درستها الآنسة داوني) أرقامها ٣١ ، ٦ ، ٩ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ٢٣ ، ٢٤ وهـــذا الرمز عبارة عن شـــكل خـــوذة مرســـومة على القـــرص الـــذي يمثـــل المجن فان رمز مارس اله الحرب الروماني هو الخوذة والمجن كما ورد ذكر ذلك في موسوعة لاروس الميثولوجية •

أما رمز نرجول فقد نقش على ما يبدو لنـــا على راية واحـــدة من الـــرايات المـــذكورة وهي الراية المرقمة ٣ المرسومة بجانب ما ســـمي بنحت سربيروس ، ويبدو من دراسة هذا الرمز انه على شكل خطوط تبتديء من نقطة في أعـلا القرص ثم تتقوس نحو الجانبين حتى تنتهي بنقطة في أسفل القرص وكأنها خطوط طول جغرافية •

الى هنا تبدو الكتابات وكأنها قد نقلت لنـــا صورة مقبولة لمعبودات الحضر • ولكن الواقع ان من بين الكتابات ما لا يزال في نظري لغزا يصعب على الباحث أن يبت في معناه • وكمثال على ذلك أن بعض الاسماء المركبة التي تدل على العبودية مثل عبد تميا وعبد وعجيلو يصعب تفسير معناها ، فقد يفسر عبد تميا بانه تحريف لعبد تميها أي عبد العجيب ، ولكن المرء لا يطمئن الى مثل هذا التفسير ويظل يتساءل عن معنى تميا • أما عبد عجيلو فيستبعد أن يعني عبد عجل اذ أن العجل في الآرامية يدعى عجلا بلا ياء ، فضلا عن عدم ورود ما يشعر بقيام مثل هذه العبارة ، والراجح عندي ان الحضري كان يقدس كل رمز في الراية وكل نقش فيها يضمن ذلك الكرة التـــي يقف عليها النسر والتي قد تشير اليها كلمة عجيلـــو أو عجيلي التي تعني بالآرامية الجسم المســـتدير المكور •

ان من بين الصيغ المحيرة ما ورد في الكتابة رقم ١٦ من تسمية بعلشمين بشكل « بعلشـــمين ملكا » أو ما ورد في الكتابة رقم ١٧ التي تسميه « بعلشمين ملكا إلها » أي بعلشمين الملك الاله ولكن الامل في العثور على المزيد من الكتابات والنقوش وتحقيق ذلك في المستقبل قد يحل كثـــيرا من الالغاز • وقد يقلب الكثير مما استنتجناه الى مفاهيم أخرى ، ولكنني أعتقد أن الصورة العامة لمعبودات الحضر لن تكون بعيدة عما صوّره هذا المقال •